وزارة الشئون الإسلامية والثقافة والأوقاف بجمهورية جيبوتي
المجلس الأعلى الإسلامي

الملتقى الثالث لعلماء شرق إفريقيا

ورقة علمية بعنوان:

# "جهود علماء منطقة القرن الإفريقي في خدمة المذهب الإمام الشافعي"

**من الفترة 18-21 مايو 2015م**

إعداد

**محمد عمر أحمد**

**الأستاذ بجامعة ولاية بونت لاند—جاروى— الصومال**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه وهو الموفق والمعين، ونصلي ونسلم على خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وبعد:

يطيب لي في البداية أن أتوجه بالشكر الجزيل لجمهورية جيبوتي حكومة وشعبا، وفي مقدمتهم الرئيس إسماعيل عمر جيله، لرعايته الكريمة واستضافته لهذا الملتقى الرائع الذي يضم كوكبة نيرة من علماء شرق إفريقيا وتركيا، والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية، واليمن السعيد ( فرج عن أهله الكربة)، وجمهورية السودان، وجمهورية مالي، والشكر موصول كذلك لوزارة الشئون الإسلامية والثقافة والأوقاف وعلى رأسها الوزير آدم حسن آدم، ورئيس مجلس الأعلى الإسلامي الأخ إبراهيم عباد..

كما أحيي رؤساء روابط العلماء وفي مقدمتهم الأمين العام لاتحاد علماء إفريقيا الدكتور محمد سعيد بابا سيلا، ورئيس رابطة علماء جيبوتي، ورئيس هيئة علماء الصومال، وأسأل الله أن يسدد خطاهم ويوفقهم ما فيه خير للإسلام والمسلمين ولا أنسى إخواني من الضيوف الكرام من الباحثين وأساتذة الجامعات، والإعلاميين.

## بين يدي البحث

بادئ ذي بدأ تلزم الإشارة إلى أن الموضوع الذي أسند إلي هو موضوع عريض ومتشعب وطويل الذي متسع الأرجاء من الناحيتين الزمانية والمكانية، ولذلك أستمحيكم العذر سلفا معترفا بالتقصير وصعوبة أن أوفي هذا الموضوع حقه ، وكيف بقدرات المحدودة أن أجري مسحا شاملا لمنطقة القرن الإفريقي وعلماءها المشاهير الذين قدموا إسهامات سواء في التدريس أو في التأليف لخدمة المذهب الشافعي-رحمه الله- وإنما الذي أطرح مجرد إشارات عامة، وأعتذر عن تناول جميع جهود علماء دول أو شعوب القرن الإفريقي كما هو العنوان.

والنقطة الثانية هي حسبما أشار إليه بعض الباحثين هي نذرة الدراسات والبحوث في هذا المجال عسى أن يكون فيكم من يسد هذه الثغرة بالدراسة والبحث، نظرا لأن اهتمام معظم الباحثين في تاريخ المنطقة انصب حول الموضوعات المرتبطة بالصراعات السياسية والمواجهة بين مملكة الحبشة المسيحية وبين السلطنات الإسلامية من فترات سابقة . أما الجانب الفكري والثقافي من تراث القرن الإفريقي فلم تحظ بالعناية اللائقة من قبل الدارسين ومراكز البحوث محليا ودوليا وعلى سبيل المثال، فقد ظلت فترة الإمام أحمد غراني( 1506-1543م) تشكل حلقة إعلامية نشطة على نطاق واسع في التاريخ السياسي لهذه البلاد.

## تمهيد

إن التسلسل المنطقي للبحث يقتضي أولا أن نشير إلى إلى دخول الإسلام في القرن الإفريقي لأن الفقه الإسلامي ما هو إلا جانب من جوانب الإسلام الذي يتكون من عقيدة نيرة تصلح القلوب، ومن تشريع يهدي إلى جلب المصالح ودفع المفاسد وإدارة الحياة على خير وهدى، ثم بالتهذيب الخلقي وهو ما اصطلح عليه عند البعض بالتصوف، ثم إن حركة انتشار الإسلام عبر الهجرات الفردية والجماعية إلى القرن الإفريقي، نتج عنه قيام المدن الإسلامية والمشيخات والسلطنات ومن ضمنها انبثقت مراكز للإشعاع الحضاري ونشر العلوم الإسلامية بالتدريس والتأليف .

ثم نعرج إلى ذكر من نبغ في هذه المراكز وجهودهم في خدمة المذهب الشافعي، ثم أشير إلى مجالات خدمة علمائنا للمذهب الشافعي، وتوضيح العلاقة بين الفقه والحياة من جوانبها في المجتمع ،وبين تطوير الفقه الإسلامي .

ثم إن تطور الفقه الإسلامي مرتبط ارتباطا وثيقا بتطبيق الشريعة في مجالات الحياة، فالحقيقة التي يؤيدها الواقع هي أن دواوين الإسلام ومنها موسوعات الفقه الشافعي مثل الحاوي الكبير، ومهذب الرافعي والمجموع شرح المهذب، وغير ذلك من الموسوعية التي تشهد بحيوية الفقه الإسلامي ومواكبته للعصر فإن ذلك لم يخرج إلى النور لولا أن الفقه الإسلامي كان مطبقا، ودستورا يحكم الحياة، ومن هذه النقطة أتدرج إلى تذكير أن أهم وسيلة لتطوير الفقه الإسلامي عموما والفقه الشافعي خصوصا هو جعل الحياة محكومة بهذا الفقه ومن يومئذ تجدون كيف يتبارى شبابنا وشيوخنا في التأليف في ميادين التأليف الفقهي، ومعالجة المشاكل الاجتماعية والأخلاقية والسياسية بالفقه الإسلامي، وبالجملة فإن الفقه يموت في الأقطار التي لا يطبق فيها تطبيقا سليما. هذا وقبل كل شيء ينبغي إعطاء نبذة عن الإمام الشافعي صاحب المذهب رضي الله عنه، ولكن تركت ذلك طلب الاختصار علما بأن الكثير من إخواني الذين اطلعت على جانب منبحوثهم قد تناولوه بشيء من التوسع ولله الحمد.

## انتشار الإسلام في منطقة القرن الإفريقي

فيما يتعلق بوصول الإسلام إلى منطقة القرن الإفريقي فإن وصول الإسلام ، إلى الحبشة -وهي تشمل منطقة القرن الإفريقي- أمر لا جدال حوله في وقت مبكر قبل هجرة الرسول إلى المدينة المنورة ؛ ولكن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة محددة هو : هل تمكّن الإسلام من الانتشار في المنطقة وهل كان لهؤلاء المهاجرين نشاط دعوي شمل المنطقة علما بأن أكثر شعوب منطقة القرن في ذلك الوقت كانت تمثل كيانات مستقلة ولم تكن ضمن المملكة الحبشية التي كانت عاصمتها يكسوم

بعد طول البحث والرجوع إلى كتابات كثير من المؤرخين يتأكد أن انتشار الإسلام في منطقة القرن الإفريقي قد ارتبط بإسلام اليمن ،وانتقال الذين أسلموا إلى الشاطئ الإفريقي لوجود العلاقة التجارية بين المنطقتين. وهكذا تدريجيا وبازدياد التواصل والهجرة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها

نشأت على مر الأيام مدن تشبه الدويلات وهي سلطنات ومشيخات مثل زيلع ومقديشو،ومركة وبراوة، فالإسلام دخل وانتشر بسلم دون عنف. وقد جاء في كتاب الدعوة إلى الإسلام لسير توماس آرنولد : أن أربعين من الدعاة العلماء جاءوا من حضرموت ليس لغرض سوى الدعوة نزلوا من بربرة وتشاوروا قرب الجبل المسمى بجبل الأولياء واتفقوا على أن يمضي كل منهم لوجهته وبعض هؤلاء وصل إلى كينيا وبعضهم وصل إلى عروشا وبعضهم وصل إلى مقدشو وبعضهم عدلوا إلى جهة الغرب . إذن كان هناك دعاة متحمسون للإسلام نشروا الإسلام بهذه الطريق السلمية[1]..

## تغلغل الإسلام في مجتمع القرن الإفريقي وتقوية مركزه:

لم تكن الاتصالات منتظمة ومستمرة بين الجزيرة، وبين الحبشة، وكانت الهجرات متباعدة من حيث الزمن، بل تفصل بين بعضها أحيانا قرون، ومع ذلك فانتقال الإسلام من المدن الساحلية إلى المناطق الداخلية والمرتفعات الجبلية الوعرة تم بفترات متقاربة في القرن الإفريقي بخلاف بقية أجزاء القارة، وباختصار فقد أخذت عملية التحول إلى الإسلام عدة قرون تمت عبر الإقناع بالدعوة السلمية وفي هذه المرحلة عادة تتكون المراكز والمعاهد العلمية والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن، وتأسست مدن وحضارات علمية تسبق مرحلة تأسيس الدولة وعندها تحسن وضع المسلمين وشعروا بالقوة وبالانتماء الإسلامي ، ويتواصلون مع الأقطار الإسلامية، ويرسلون الطلاب إلى مراكز الحضارة العلمية[2] يرتبط تاريخ الإسلام في شرق إفريقيا بالمحيط الهندي أكثر من ارتباطه بتاريخ القارة الإفريقية نفسها ، وذلك أن الذين حملوا الإسلام إلى تلك المنطقة وفدوا عن طريق المحيط الهندي واستوطنوها ثم كوَّنوا بامتزاجهم بعضهم بعضهم ببعض من ناحية، وبامتزاجهم بالإفريقيين من ناحية أخرى شعبا جديدا له خصائصه وحياته وثقافته ثم أصبحت له بعد ذلك حضارته التي نعرفها الآن بالحضارة السواحيلية[3].

ورواية ابن بطوطة هذه أهمية كبيرة لأنها تطلعنا على الدور الذي كان يقوم به العرب المسلمون في نشر الإسلام في الصومال عن طريق الاختلاط بسكانه ومصاهرتهم، وسرعان ما غذت تلك المراكز التجارية منابع الإشعاع والنور والحضارة والمدنية ومراكز لبعث الدعوة الإسلامية تتخرَّج وتنطلق منها طائفة بعد طائفة من الفقهاء والأدباء والمؤلفين لإرشاد الناس إلى التعاليم الإسلامية الصحيحة كما ذكر لنا صاحب العقود اللؤلؤة[4]

---

[1]- في حوار أجرى معه الكاتب في جرووى في أغسطس 2003م صدر في مجلَّة الحكمة التي رأس تحريرها الكاتب العدد الأول مايو2005.

[2]- الدكتور علي الشيخ أحمد أبو بكر،محطات في التاريخ الإسلامية وأثره في منطقة القرن الإفريقي، بحث مقدم إلى الملتقى الثالث لعلماء شرق إفريقيا.

[3]- . سلطنة كلوة الإسلامية في عهد أسرة المهدلي العربية.(676-824ه) 1277-1421م) جامعة القاهرة، رسالة ماجستير 2006، قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مقدمة الرسالة، ص:ن.

[4]-. أحمد عبد الله ريراش، كشف السدول ، ص:21

## وسائل انتشار الإسلام في القرن الإفريقي

أما نتائج الهجرات العربية إلى بر القرن الإفريقي فقد نتج عنها تقوية المسلمين،وتوسيع رقعة انتشار الإسلام، ونشوء مدن تجارية مثل زيلع ومقديشو،ومركه وبراوة وماليندي وممباسة وكلوة وسفالة، وتقع اليوم في أراضي موزنبيق. وتأسست أيضا سلطنات مثل السلطنات الإسلامية المعروفة بدول الطراز الإسلامي في منطقة القرن الإفريقي، وسلطنة مقديشو، وممباسا ، وهكذا.

وانتشر الإسلام بواسطة التجارة، ثم الطرق الصوفية وهكذا.وكان لبساطة تعاليم الإسلام ، وسهولة فهمها إضافة إلى تفوق المسلمين الحضاري أكبر الأثر في استجابة الكثيرين من أهل البلاد الى الدعوة " 5. وعبّر «ترمنجهام» عن الصلة المهمة بين الإسلام والتجارة بقوله: «إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير»(21، *Spencer Trimingham, A History of Islam in West Africa, London: Oxford University Press, 1962, p.31*

## القرن الإفريقي وإطلاقاته لدى المؤرخين

قال الدكتور عبد الرحمن زكي في كتابه " الإسلام والمسلمون في شرق إفريقية " ظل المؤرخون والجغرافيون من العرب يجهلون جغرافية الممالك الإسلامية الصومالية المزدهرة وأخبارها والحبشة حتى جاء المقريزي 845هـ فكان أول مؤرخ ذكر أخبارا صحيحة عن الممالك الإسلامية الصومالية وتاريخها والحبشة في عصره ، وكتب المقريزي رسالته المسماة " الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام " أثناء إقامته بمكة عام 839هـ/1434-1435م [6] ومصطلح " بلاد الزيلع" كان مصطلحا عاما لدى العرب يشمل كل السلطنات الإسلامية السبع في الحبشة آنذاك. وهذا المصطلح استخدمه المقريزي في كتابه" الإلمام" ص6 قال:" اعلم أن بلاد الزيلع كما تقدم من جملة أراضي الحبشة وعرفت بقرية في جزيرة بالبحر يقال لها زيلع " إلى أن قال:" وتنقسم إلى سبع ممالك". ط 1895م . بمطبعة التأليف بمصر

وقد عُرفت منطقة القرن الإفريقي في عهد الإمارات الإسلامية في مصر والشام بـ[بلاد الزيلع ] وكان يطلق على ملوكها [ملوك الزيلع] ورواق الزيالعة يعتبر من أقدم الأروقة ، ومما يدل على ذلك ما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته المسماة [تحفة النظار في غرائب الأمصار] عند الكلام على جامع دمشق ما نصه: "وفي شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء لطائفة زيالعة السودان" ، وما ذكره المستشرق الإيطالي كونتي روسي من أن الدولة الفاطمية لما بنت الأزهر نقلت أسماء الأروقة من الجامع الأموي بدمشق [7]. وأيضا فمن " المعروف أن كتاب العصور

---

[5]- كشف السدول عن تاريخ الصومال وممالكهم السبعة لأحمد عبد الله ريراش ص :21

[6]- **المصدر السابق ص : ( 23 )**

[7]- جلاء النظر بأخبار رواق الزيالعة ثم الجبرتي بالأزهر للمؤلف مفتي أرتيريا الأسبق الشيخ إبراهيم المختار أحمد عمر نقلا عن موقعه في الإنترنت موقعه في الإنترنت.www.mukhtar.ca

الوسطى يطلقون على المنطقة كلها اسم الحبشة وهم لا يعنون ذلك حدودا سياسية أو إقليمية ولكن من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل نظرا لشهرة الحبشة عند العرب[8].

## انتشار المذهب الشافعي في منطقة القرن الإفريقي

إذا كان المذهب الشافعي أصبح هو السائد في منطقة القرن الإفريقي في القرون المتأخرة فمتى دخل تلك البلاد ؟ لا شك أن الإجابة الحاسمة عن هذا السؤال من الصعب بمكان ، ومن خلال الكتابات نجد أن أول إشارة تفيدنا بوجود المذهب الشافعي في القرن الإفريقي –حسب اطلاعي- هو القرن السابع قبل ابن بطوطة كما سنراها لاحقا، ابن بطوطة ( القرن8) تحدث عن المدن الساحلية التي زارها بدءً من زيلع التي قال عنها : " يسكنها طائفة من السودان شافعيَّة المذهب " 9ومرورا بممباسا وكلوة أن أهلها شافعية المذهب فهذا من الدلائل التي تشير إلى أن المذهب الشافعي قد انتشر في عهد مبكر في القرن الإفريقي ، على أيدي المهاجرين من الحضارمة وغيرهم ممن كانوا يدينون بالمذهب السني كما كانوا شوافع في الفقه إلى الصومال وأريتريا وجيبوتي ، وقد رصد ذلك ابن بطوطة (ت779هـ) بقوله : ( وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام، ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة البرابرة، وهم طائفة من السودان شافعية المذهب، وبلادهم صحراء مسيرة شهرين. أولها زيلع، وآخرها مقدشو) [10]، وفي السواحل الشرقية الإفريقية (تنزانيا – كينيا - أوغندا – جزر القمر-مدغشقر) : وصل المذهب الشافعي إلى تلك البلاد مبكرا في القرن الرابع الهجري تقريبا عبر اليمن ، ولا يزال المذهب الشافعي هو السائد في بلاد شرقي إفريقية اليوم[11]

وقد رصد ذلك ابن بطوطة(ت779هـ) حيث يقول : (ثم ركبت من مدينة مقديشو متوجهاً إلى بلاد السواحل قاصداً مدينة (كلوا) من بلاد الزنوج ، فوصلنا إلى جزيرة مَنْبَسَى - وضبط اسمها ميم مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء - وهي كبيرة، وهم شافعية المذهب)[12] وابن فضل الله العمري أشار أيضا في مؤلفه (مسالك الأبصار ) ( كذا) : إن بلادهم ( يعني الممالك الإسلامية ) ليست بذات أسوار ، ولا لها فخامة بناء ومع ذلك فلها الجوامع والمساجد، وتقام بها الخطب والجمع والجماعات، وعند أهلها محافظة على الدين إلا أنه لا تعرف عندهم مدرسة ولا خانقاه13 ولا رباط ولا زاوية وهي بلاد شديدة الحرِّ وألوان أهلها إلى الصفاء وليست

---

[8]- الانحرافات العقدية في الصومال د. عبد القادر محمد عبد الله ص83.

[9]- كشف السدول ص: 166

[10]- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (114/2)

[11]- د.غيثان جريس ود. السرسيد العراقي ، تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم – (نادي أبها الأدبي ، أبها ، ط1 ، 1417) (1/30) .

[12]- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (120/2).

[13]- في هامش القاموس المحيط تحت مادة خنق : أصل الخانقاه بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصُّوفية ، معربة حدثت في الإسلام في حدود الأربع مئة ، وجعلت لمتخلي الصُّوفية فيها لعبادة الله تعالى

شعورهم في غاية التفلفل كما في أهل مالي وما يليها من جنوب المغرب ، وفطنهم أنبه من غيرهم من السودان ، وفطرهم أذكى وفيهم الزهاد والأبرار والفقهاء والعلماء ويتمذهبون بمذهب أبي حنيفة خلا أفات فإن ملكها وغالب أهلها شافعيَّة " إهـ 14

يبقى أن نقول إذا كان سكان منطقة زيلع في فتراتها الأولى كانوا أحنافا ، وكان المذهب الحنفي هو السائد في الممالك الإسلامية في" إيفات " وقبلها إمارة "شوا " بدليل أن العلماء الزيالعة الذين سكنوا مصر وبلاد الشام كانوا على المذهب الحنفي، فكيف حدث ذلك التحوُّل في زيلع ووما حاورها من البلدان ؟ لا نملك الإجابة على هذا إلا أن نقول :

إن اليمن أكثر البلاد التي تأثرت بها الحركة العلمية في الصومال بشكل عام فالإسلام وصل إلى الصومال عن طريق اليمن ، وكذلك الطرق الصوفية دخلت من اليمن وحين كانت اليمن يسودها المذهب الحنفي كانت المدن المتصلة ببر اليمن مثل زيلع على المذهب الحنفي ، وحين انتقل اليمن إلى المذهب الشافعي انتقل المذهب الشافعي كذلك إلى زيلع وحواليها ، وهذا حين تحوَّلت مدينة زبيد من المذهب الحنفي وهي أقرب المراكز العلمية اليمنية منها وكانت بين المدينتين علاقة تأثر وعطاء فالعالم الذي ينبل في زيلع كان يدرس في زبيد ،وبالعكس.يقول التاج السبكي(ت771هـ : ( )ومنهم أهل اليمن والغالب عليهم الشافعية لا يوجد غير شافعي إلا أن يكون بعض زيدية ، وفي قوله ) : ٨الإيمان يمان والحكمة يمانية) مع اقتصار أهل اليمن على مذهب الشافعي دليلٌ واضحٌ على أن الحق في هذا المذهب المطلبي [15] ، وللإمام الشافعي صلة باليمن وطيدة وله إليها عدة رحلات[16] ، ولكن انتشار المذهب الشافعي في اليمن كان في بداية القرن الخامس الهجري ، أي بعد استقرار المذهب ، وللأيوبيين دور كبير في نشر دعائم المذهب باليمن ، ولفقهاء الشافعية باليمن جهود مشهورة في خدمة المذهب[17] ، انتشر في مخلاف الجند وصنعاء وعدن وتهامة وحضرموت ، وصار مذهب الدول السُّنِّية التي حكمت اليمن والتي استقرت فيما يعرف باليمن الأسفل[18] ويتبع له إقليم حضرموت (جنوب اليمن) الذي انتشر فيه المذهب الشافعي أواسط القرن السابع [19] والذي يعد من أهم الأقاليم التي استمر بها مذهب الشافعي ، ويتميَّزُ مجتمعه بالالتزام التام بأحكامه إلى يومنا هذا ، وفي عهد الدولة القعيطية [20]كتب مشروع قانون للمحاكم الشرعية مستمد بأكمله من المذهب

---

[14]- بواسطة كشف السدول ص25.

[15]- أحمد تيمور باشا ، نظرة في تاريخ حدوث المذاهب الأربعة ص88 .

[16]- انظر في تفصيل رحلاته إلى اليمن ، محمد ابوبكر باذيب(فقهاء حضرموت وجهودهم في خدمة المذهب الشافعي) رسالة ماجستير مقدمة لجامعة بيروت الإسلامية ،2008م –مقدمة الرسالة بواسطة محمد عمر الكاف،

[17]- الموسوعة اليمنية ،( مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة العفيف الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 2003م) (1676/3) ود. حسين العمري ، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث )دارالفكر ، دمشق ، ط1 ، . (1405

[18]- أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في اليمن)الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1408)ص63.

[19]- سقاف علي الكاف ، حضرموت عبر أربعة عشر قرنا (مكتبة أسامة ، بيروت ، ط1 ، 1410هـ) ص58

[20]- الدولة القعيطية : (1271هـ - 1386هـ) من أواخر السلطنات التي حكمت حضرموت قبل الاستقلال عام1387هـ/ 1967م ، انظر: محمد بن أحمد الشاطري ، أدوار التاريخ الحضرمي )دار المهاجر ، اليمن ، 1994م ، ط3) (401/2)

الشافعي ، وتعد هذه ظاهرة فريدة تميز بهذا القطر [21] يقول المؤرخ السيد سقاف الكاف (ت1417هـ) : (وكانت جميع المحاكم الشرعية والنظم البلدية تأخذ أحكامها من هذا المذهب ، ولا يجوز للقاضي ولا غيره الخروج عن المذهب والانتقال إلى غيره مطلقا ، إلا في عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي حيث أدخل على نظام التشريع والقضاء مسائلَ مختارة من المذاهب الفقهية الأخرى ، رأى أن المصلحة تقتضيها ، وذلك سنة 1341هـ ، وبقي الأمر على ذلك حتى عام 1392 هـ ، حيث أسقط النظام الشيوعي في عدن التشريعات الإسلامية كافة واستبدل بها النظام الشيوعي)[22]، وهو الذي ينازع الشعب اليمني سلطان المذهب الزيدي مع كون الشافعية الغالبية العظمى23

## استقرار المذهب الشافعي في شرق إفريقيا

ومما لا شك فيه أن المذهب الشافعي ساد في القرن الإفريقي وخصوصا في المناطق الساحلية كمقديشو وممباسا في وقت مبكر، وقد راجت أمهات كتب المذهب الشافعي في تلك المراكز، وقد أفادنا ما نقلناه عن كتاب المشرع الروي قوله " ثم رحل إلى بندر مقدشوه الشهير وكان بها إذ ذاك من العلماء كثير فأخذ عن علمائها عدة علوم ولازم بها الشيخ العلاّمة جمال الدين محمد بن عبد الصمد الجهوي ، واعتنى به الشيخ وقرأ التفسير والحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية ، وتقدم فى هذه العلوم وبرع وجمع فيها ما جمع ، وشارك فى الأصلين والمعاني والبيان والمنطق وكان يقرأ عليه المهذب فى سنة والتنبيه والوسيط والوجيز فى سنة وكان فى أول طلبه ....."

فأفاد هذه المصدر أن أمهات كتب المذهب الشافعي راجت في الصومال في وقت مبكّر و بصفة خاصة كتب أبي زكريا شرف الدين يحيى بن شرف النووي شيخ الشافعية بلا منازع والمعوَّل عليه في نقل المذهب وأشهرها كتابه ( منهاج الطالبين في الفقه الشافعي ). كما انتشرت كتب أبي حامد الغزالي على الأخص احياء علوم الدين ) و ( منهاج العابدين ) ومن المبسطة راجت سفينة النجاة وفتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للشيخ زين العابدين الملياري ( كذا ) ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ( إشارة في الهامش الأخطاء المطبعية في السياسات ) للرملى

[21]- انظر ، فقهاء حضرموت وجهودهم في خدمة المذهب الشافعي) تتبع فيها جميع ما كتبه فقهاء الحضارمة قديماً وحديثاً مطبوعا ومخطوطاً ، وهي مقدمة لجامعة بيروت الإسلامية ، كلية الشريعة ،2008م.

[22]- سقاف علي الكاف ، حضرموت عبر أربعة عشر قرنا، ص58.

[23]- محمد عمر الكاف، خزانة الفقيه، انتشار المذهب الشافعي في العالم الإسلامي مع خريطة توضيحية الموضوع الأصلي :
http://www.feqhweb.com/vb/showthread.php?t=3368&s=8a17bd6c3a996a3780900dd7df6117a0#ixzz3aPtFnxSQ

وكفاية الأخيار لمحمد الشربيني الحصيني ، وشروح متن أبي شجاع الأخرى كحاشية القاسمي وهذه الكتب شائعة في العالم الإسلامي ،وعلى الأخص إفريقيا الإسلامية . )[24]

واليوم ، فرغم سيادة المذهب الشافعي على المنطقة إلا أن بقية المذاهب الفقهية الأربعة –ما عدا المذهب الحنبلي- تتعايش جنبا إلى جنبا في منطقة القرن الإفريقي ففي أريتريا وفي إقليم أوسا العفري يوجد المذهب الحنفي ، وفي جنوب إثيوبيا وفي ولاية بني شنقول تحديدا وهي قومية مسلمة 100% يوجد هناك المذهب المالكي ، أما بقية منطقة شرق إفريقيا مثل الصومال بأجزائه ومناطقه، وجيبوتي وكينيا فليس ثمة إلا المذهب الشافعي.

وحتى في عصرنال الحالي ما زال المذهب الحنفي له وجود قوي في أريتريا منذ أيام الحكم العثماني الذي نشر المذهب بقوة ،وأول مفت لأريتريا في العصر الحديث هو حنفي المذهب25 .

وذكر المفتي العام لأريتريا الأسبق الشيخ إبراهيم المختار أحمد بن عمر المتوفى عام 1969م في تقرير له أن المذاهب الفقهية الثلاثة وهي الحنفية والمالكية والشافعية موجودة في اريتريا 26 وقال: إن القضاء أيضا في هذه المحاكم لايختص بمذهب معين ، وإنما يحكم القاضي جميع ما يعرض عليه على حسب مذهبه حنفيا كان أو مالكيا أو شافعيا ، وعند الإستئناف تنظر محكمة الإستئناف في الحكم على حسب مذهب القاضي المستأنف منه فقط دون بقية المذاهب ، كما تنص على ذلك مادة 192 من قانون المحاكم الشرعية ، ولذلك تعتبر أعمال هذه المحكمة أشق من أعمال محاكم الإستئناف الأخرى. وقبل العصر الإيطالي كان الحكم بالمذهب الحنفي فقط ، كما كان الحال في جميع الولايات التابعة للخلافة التركية27.

## القرن الإفريقي كان يرد الجميل أحيانا

جاء فى كتاب المشرع الروي فى مناقب السادة الكرام آل أبي علوي تأليف: العلاّمة الجليل العارف بالله تعالى محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي .الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرفية سنة 1319هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ما يدل على أن منطقة القرن الإفريقي أحيانا مثلت منبعا للعلوم ،ومركزا يقصد إليه طلبة العلوم الشرعية يفدون إليه من اليمن جاء هذا فى ترجمة محمد بن علوي بن أحمد حيث جاء فيه:

---

[24]- السياسات الثقافية في الصومال الكبير ص:57- 56 بتصرُّف كبير.

[25]- الإسلام في إثيوبيا للدكتور الكرباسي، ( وهو من شيعة العراق من كربلاء مقيم بلندن) إعداد محمد سعيد آل أبي إمام، نسخة إلكترونية، ط1430هـ 2009، بيت العلم للنابهين بيروت ، لبنان، ص:53.
https://books.google.dj/books?id=HtvXLOKTCZkC&p

[26]- حوار المفتي العام لأرتيريا الشيخ عثمان الأمين ، تحت هذا الرابط
http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Wasat%20magazine/1995/6 %81.html

[27]- /http://mukhtar.ca/%D8%A7%D9%84%D8% %82%D8%AF%D9%8A%D9%85

"ثم رحل إلى بندر مقدشوه الشهير وكان بها إذ ذاك من العلماء كثير فأخذ عن علمائها عدة علوم ولازم بها الشيخ العلاّمة جمال الدين محمد بن عبد الصمد الجهوي [28] ، واعتنى به الشيخ وقرأ التفسير والحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية ، وتقدم فى هذه العلوم وبرع وجمع فيها ما جمع ، وشارك فى الأصلين والمعاني والبيان والمنطق وكان يقرأ عليه المهذب فى سنة والتنبيه والوسيط والوجيز فى سنة وكان فى أول طلبه سمع أن على بن أحمد بامروان كان يقرأ كل واحد منها فى سنة فطلب من الله سبحانه أن يرزقه ذلك فاستجاب الله دعاه ، وأعطاه ما تمناه ، وكانت قراءته عليه قراءة تحقيق مع بحث وتدقيق وكان يطالع قراءته بالليل فيستغرقه نصفه أو جله وربما استغرق الليل كله .

وحكي أنه احترق عليه بالسراج ثلاثة عشر عمامة عند مطالعته لشدة استغراقه فيها وإذا أحس بالنوم خرج إلى ساحل البحر يكرر محفوظاته وليحفظ أوقاته ولم يزل على ذلك حتى حاز علوما فاق بها أهل زمانه وتقدم بها على أقرانه ثم رجع إلى بلده تريم متضلعا من كل فن عظيم فسطع بها بدره ، وعلا صيته ، وارتفع قدره ثم جلس للإقراء وانتفاع الناس وأحيى العلوم بعد الاندراس فرحلت الطلبة إليه وتمثلت بين يديه وقصد من كل ناد وواد ، وألحق الأحفاد بالأجداد

## هل قامت في القرن الإفريقي دولة تطبق الشريعة ؟

العلاقة بين تطبيق الشريعة وبين العلوم الإسلامية ولاسيما الفقه علاقة وثيقة جدا إذ أن العلم لا ينتشر إلا في ظل تطبيقه، وحل المشكلات على ضوئه، ونشوب المعضلات التي تتطلب الحلول من الفقهاء ، وإن وجود دولة تطبق المذهب نصر كبير له فالمذهب الشافعي أيدته الدولة الأيوبية والدول التي تعاقبت على حكم المدن.

وعلى هذا الأساس عدَّ الجيزاني المشهور بعرب فقيه صاحب كتاب (فتوح الحبشة، المقدمة ص 3-4) الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي ( أحمد غري) بأنه كان أحد المجددين فقال" منهم من يجدده بنشر العلوم في الآفاق، ومنهم من يجدده بضرب السيف لذوي الشقاق والنفاق، ومنهم من يجدده بحسن السياسة والدراية ".

قال عرب فقيه: ثم إن الإمام قال للأمراء والسلطان الذي سلطنه مكان أخيه أبي بكر كما ذكرناه واسمه عمر دين في أمر الزكاة ؛ لأن السلطان والأمراء وأربابهم ومن تولى بر سعد الدين يأخذون الزكاة من المسلمين يأكلونها ويصرفونها في مصالحهم، ولا يعطون للفقراء والمساكين ومن يستحقها منها شيئا، فقال لهم الإمام أحمد –رحمه الله- : الحمد لله إن الله أكرمنا بالإسلام، وأعزنا، وأحل لنا الغنائم من أموال المشركين، وغنمنا غنائم ما غنموها أباؤنا ولا أجدادنا ولا من كان قبلنا، فهي تكفينا نأكلها ونشتري منها آلة الحرب للقتال، وأما الزكاة ففرّقوها على الثمانية الأصناف، فقال الأمراء والسلطان في حال الموقف – من خيفة الإمام أحمد رحمه الله تعالى: مرحبا بالذي تأمرنا

[28]- توفي الشيخ عبد الصمد الجهوي في تاريخ670هـ في مقدشو ويزار فيها–كشف السدول ص: (87 ).

فيه، ولا نخالفك فيه ، فحينئذ أرسل الإمام أحمد عمَّاله على أهل البلاد وأهل المواشي والزارعين وأخذ منهم الزكاة " ص: 89.

وقد رأينا أحد المؤرخين الكبار وهو العلاّمة الشوكاني يترجم لبعض ملوك تلك الممالك فقد ورد في البدر الطالع ترجمة رقم 421 محمد بن أبي البركات بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر الجبرتي الحنفي المعروف بابن سعد الدين سلطان المسلمين بأرض الحبشة .. أصلهم فيما قيل من قريش فرحل بعض سلفهم من الحجاز حتى نزل بأرض جبرت ، فسكنها إلى أن ملك ملك الحبشة بعضهم مدينة أفات ( كذا ) وأعمالها فعظم وقويت شوكته ، وحمدت سيرته وتداولها ذريته حتى انتهت إلى صاحب الترجمة في سنة 828 هجرية فملك كثيرا من تلك البلاد ، وامتلأت الأقطار من الرقيق الذين سباهم ، ودام على ذلك حتى مات شهيدا في بعض غزواته في جمادى الآخرة سنة 835 خمسا وثلاثين وثمان مئة قال السخاوي : وكان ديّنا عاقلا عادلا خيّرا وقورا مهابا ذا سطوة على الحبشة أعزّ الله الإسلام في أيامه . وملك بعده أخوه فاقتفى أثره في غزواته وشدّته " وقال ابن حجر في أنبائه : وكان صاحب الترجمة شجاعا بطلا مديما للجهاد وعنده أمير يقال له حرب لا يطاق في القتال كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه فهزم الكفار من الحبشة مرارا وغزاهم السلطان مرّة وهو معه فغنم غنائم عظيمة حيث بيع الرأس من الرقيق بربطة ( ورق – أي – قات ) وكان من خير الملوك دينا ومعرفة ، يصحب الفقهاء والصلحاء ، وينشر العدل في أعماله حتى في ولده وأهله ، وأسلم على يديه خلائق من الحبشة حتى ثار عليه بنو عمّه فقتلوه في التاريخ المتقدم[29]

أما في الصومال فقد" كان الصومال منذ دخوله الإسلام يحتكم لأحكام الشريعة الإسلامية ، وكان العلماء والفقهاء يمثّلون السلطة الحقيقية ، ويتمتّعون بولاء الأمة قاطبة ، وكان العالم الفقيه في منطقة معيّنة يحترم ويقدر قضاء وفتوى غيره في منطقة أخرى . فإن أشكل عليه حكم حادثة معيّنة أمر مستفتيه بالانتظار حتى يتأكد ويستبين نص الحكم في المسألة من أولى العلم والحكمة ، وقد يسافر لمسافات بعيدة ، ويقطع القفار طلبا لحكم القضية من عالم آخر وخير ما نمثّل به ما فعله الشيخ محمد شيخ حسين الورشيخي أشكل عليه حكم مسألة فقهيّة عرضت عليه في مجلسه ، فما كان منه – على غزارة علمه في الفقه – إلا أن سافر مع رفقائه إلى الشيخ الجليل الحاج شعيب بن الحاج عمر نزيل مدينة مصر الشهيرة ( قرب جوهر )بعلمائها الأقطاب ، والشيخ الحاج شعيب بعد أن عرضت عليه المسألة أمر بإحضار كتاب التحفة لابن حجر فوجدت المسألة في الجزء الأخير منه وهنا رجع الشيخ – رحمه الله – مغتنما بفائدة حكم المسألة30" .

في عهد أبي بكر بن عمر هلوله ( من قبيلة أبغال ) زار ابن بطوطة مدينة مقدشو ، وتحدّث طويلا عن سلطانها ، وعن مجلس وزرائه ، وطعامه وشرابه ، وتكلّم بإسهاب عن كرمه وتقديره للفقهاء والعلماء ، وعن نظام الشورى الذي كان متبعا في مملكته ، وعن الأبنية العظيمة بالمدينة ، مما يفيد أنّ مدينة مقدشو كانت تنعم بحياة الرّفاهية والازدهار 31وكان يلقب الأمير بلقب الإمام ، وكان يوم

---

[29]- البدر الطالع ص:657- 658 طبعة بيروت

***30***- أحمد سيد يحيى، الصحوة الإسلامية في الصومال مهددة بالانهيار بتصرف ص:147-148

***31***- الصومال قديما وحديثا : للأستاذ أحمد السيد سالم ص:20 بواسطة : سيد أحمد يحيى ص:51

تنصيبه عيدا ، يفد الناس من البادية والقرى المجاورة لمدينة مقديشو لاستقباله ، وإعطاء البيعة والولاء له 32 كما ذكر ابن بطوطة عن ممباسا وكلوة أن أهلها أهل جهاد لأنهم في برّ واحد متصل مع كفّار الزنوج والغالب عليهم والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية " ومن الواضح أن الجهاد عملية تحتاج إلى وجود قيادة تنظم الشئون ، وتوجه الطاقات نحو البناء والجهاد فاقتضى ذلك وجود نظام إسلامي أيا كان شكله ودرجة تطبيقه للشريعة الإسلامية .

أضف إلى ذلك أن الممالك المسماة بممالك الطراز الإسلامي التي قامت في الأجزاء الشمالية الشرقية ، في فترة بعيدة جدا من التاريخ كانت تلك الممالك اتخذت الشريعة الإسلامية شعارا لها وأساسا لوجودها وشرعيتها ، وهذا يتبين من جهاد بعض هذه الممالك المتواصل، ومن الدور الدعوي الذي لعبته أكثر هذه الممالك

وبالجملة فقد تشدد السلاطين على الالتزام بخلق الإسلام في السلوك الاجتماعي وفي الإدارة الحكومية ، واتخذ سلاطين مملكة أوفات التي تزعمت حركة الجهاد الإسلامي ، ألقابا متصلة بالدين مثل سعد الدين ، وجمال الدين ، ونصر الدين ، وشهاب الدين كما أصبح العلماء طبقة ذات وجود مؤثر في البلاط السلطاني وفي الحياة الثقافية والاجتماعية فقادوا حركات الجهاد حيث استشهد في موقعة واربلى في سنة 1414م والتي كانت بين السلطان سعد الدين وبين النجاشي إسحاق – استشهد فيها 400 شيخ من الشيوخ الكبار تحت كل منهم عدد كبير من العلماء والطلبة والشبان كما استشهد فيها سلطان ( كذا ) سعد الدين نفسه " )33

وقد ورد في تقرير هيئة أركان حرب مأمورية هرر في 3 محرم1292هـ عن هرر أثناء دخولها لهرر وكان في 11 أكتوبر 1875م عن حالة القضاء في هرر:

كان النظام المتبع في القضاء وفي الفصل في الدعاوى الهامة يشبه النظام القبلي، فلكل قبيلة في هرر مجلس للفصل في المنازعات وللمجلس رئيس يلقب ( بالبوكو) يغير كل ثلاث سنوات، كما كان هناك مجلس آخر أعلى من المجالس السابقة يتكون من 30 شخصا يختارون من كبار أعضاء مجالس القبائل المتعددة، وله رئيس يلقب (بالبوكو الكبير) . وهذا المجلس الكبير له السلطة العليا على مجالس القبائل وتعرض عليه المسائل الخطيرة كمسائل الحرب والسلم . ولا شك أن في هذا النظام يتيح لهم إلى حد ما فرصة اختيار الرؤساء الصالحين، فهو نظام ديمقراطي. وقد كانت أحكام هذه المجالس محترمة وملزمة للجميع إلى حد كبير. ثم قال التقرير:

هذا ، على أنهم في أحكامهم العامة يلتزمون إلى حد ما بأحكام القرآن الكريم و المذهب الشافعي كما يفهمونه. وهم هنا يتفقهون في الدين إلى حد كبير إذا قيسوا بأهل بربرة أو زيلع أو غيرهم من سكان هذه الجهات الذين كما ذكرنا كانوا يدينون بالإسلام، لكنهم يجهلون كل الجهل أحكام الشريعة،

---

***32***- المصدر الأخير ص: 51) "

***33***- المقريزي الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام القاهر1895م ص : 6 بواسطة اللغة العربية في الصومال ص : ( 58

والقاتل في هرر يقتل والسارق تقطع يده، ومن يقترف جريمة أقل يجلد أو يسجن، وقد كان يوكل إلى قاضي هرر الفصل في القضايا العادية بينما يفصل أميرها بنفسه في القضايا الهامة. وقد سبق أن تعرضنا للحديث عند البحث في أحوال هرر قبل الفتح المصري كما يصفها الرحالة الذين زاروها. وقد أبقى المصريون على جوهر هذا النظام الديمقراطي مع الاهتمام بنشر التعليم وبخاصة التعليم الديني، وأدى ذلك إلى القضاء على الشوائب المخالفة للدين الصحيح، فأصبحت أحكام الشريعة الإسلامية الغراء هي النافذة، ولم يكن الحكام المصريون يتدخلون في شئون القضاء إلا فيما يمس الأمن العام. وقد أنشئ في هرر مجلس للفصل في قضايا الأهلين على نسق المجالس التي شكلت في مصوع وسواكن34

وإلى جانب هذه الإشارات الدالة على تطبيق الأحكام الشرعية فقد سادت الأعراف القبلية، وعادات الشعوب الإفريقية في مناحي الحياة،فعليى سبيل المثال نجد( من العادات العميقة الجذور في المجتمع الصومالي عادة (الحير) وهو نظام يضعه أفراد القبيلة الواحدة أو القبيلتان فيما بينهما أو مجموعة قبائل مختلفة ليتحاكموا إليه ، وليصدروا عنه ، وليس مستمدا من الشريعة الإسلامية ، ولكنه خلاصة تجارب القبائل وما استحسنوه من أفعال ، وهذا النظام ليس مكتوبا على الإطلاق ، بل محفوظ في صدور الأفراد ، وله رجاله المختصون الذين يعرفون دقائقه وفروعه ، والذين يستدعون عند الحاجة إليهم ، وهؤلاء يشبهون رجال القانون والقضاء35، وبهذا فإن (الحير) بمثابة قانون وضعي ينظم شئون الأفراد والقبائل لفصل القضايا الطارئة ومعالجتها ، وبهذا المعنى فهو قانون غير مكتوب . فإذا حدث حادثة بين الأفراد أو القبائل ، واحتيج إلى مشاورة الذين تخصّهم القضية هل يذهبون إلى الفقيه المتخصص بالشريعة الإسلامية أو إلى رجال الحير المتخصصين به ؟ منهم من يختار حكم ذلك القانون ، وآخرون يختارون حكم الشريعة ، ويتفق الطرفان في نهاية المطاف على اختيار إحدى الطريقتين في إنهاء الحكم . وغالبا ما يكون الاختيار للقانون المذكور الذي لا علاقة له بالشريعة الإسلامية.قلت : وهذه الازدواجية في نظام الحكم قد أشار إليها أيضا المؤرخ جامع عمرعيسى فيقول تحت عنوان نظام الحكم في الصومال: " إن الصوماليين كانوا يدينون جميعا بالدين الحنيف من أول ظهور الإسلام إلى اليوم ويتمسكون بقواعده الأصلية يسيرون على أساس الشريعة ، ويخضعون لأوامرها ونواهيها ومع ذلك كانت الأمور في أيدي القبائل وزعماء القبائل وكانت الخصومات يفصل فيها طبقا للشريعة الإسلامية تارة وتحل بالطرق القبلية والعرف المحلى تارة أخرى .36

## أبرز المراكز التي نشرت الفقه الشافعي

هذه المراكز نشأت في الصومال كما في زيلع ومقديشو ومركا وبراوة وباردیرا وجكجكا وهرجيسا وبورما في الداخل، وفي إثيوبيا نجد مثل "هرر"، و"دردوا "، و"ودى" في منطقة وللو وجما ،

---

[34]- تقرير هيئة أركان حرب مأمورية هرر في3 محرم1292هـ، نقلا عن: سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، للدكتور شوقي عطا الله الجمل، ط1394هـ-1974م الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص:218.

[35]- نقلا عن علي الشيخ أحمد، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي، ط1987م.

[36]- **تاريخ الصومال في العصور الوسطى والحديث ص : 29 ).**

وبني شنقول، وأيضا في إقليم أوسا مركز العفر ومراكز أخرى وهذه المراكز اهتمت بالبحوث والمسائل الفقهية والنحوية، والتعليقات على الحواشي، ووضع شروح للمختصرات، ونظم المنثورات، واختصار المطولات، وشيء من مؤلفات التاريخ، إلا أن جل ما كان يكتب ويدرس للطلبة لم يجد طريقه إلى الطبع، وذلك لقلة الإمكانات [37] وقد تأسس المراكز العلمية بفضل الهجرات العربية، وقيام مدن تمثل وحدات إدارية على شكل مشيخات وسلطنات ، وكان طالب العلم في جميع العهود السابقة وإلى اليوم يرتحلون إلى المناهل العلمية في مقديشو، وفي غرب الصومال (نواحي هرر وجكجكا وما جاورها) أو إلى عمق بلاد الأورمو لوجود عوامل جذب مهمة، وهو توفر الإقامة وعدم الظعن والتنقل كما في مناطق القحط والجفاف.

## جهود علماء القرن الإفريقي في خدمة المذهب الشافعي

تمثلت مجالات خدمة علماء منطقة القرن للمذهب الشافعي في عدة مجالات منها:

### أ - نشر الفقه الشافعي عن طريق الحلقات العلمية:

نشر المذهب وتوسيع نطاقه وتعميقه عن طريق المراكز، وقراءة المصنفات اللفقهية على مذهب الإمام الشافعي ، وهي المصنفات المعهودة في الفقه الشافعي والوصول إلى مستويات معقولة في فهم المسائل وتصويرها وكل هذا على سبيل التدرج في التعليم ووفق منهج متبع في المراكز العلمية المعروفة . ومن هذه الكتب : سفينة النجاة ، وسفينة الصلاة ، أبي شجاع وشروحه كالقاسمي ، والتوشيح وحاشية الباجوري ، والإقناع ، والبجيرمي على الإقناع ، عمدة السالك ، والمنهج والمنهاج للنواوي .وأخيرا عرف كتاب الإرشاد لابن حجر الهيثمي. وقد قال الفقيه الشيخ محمد بن عبد السلام المشهور بالشيخ محمد جود إن المنهج العلمي المتبع في الحلقات العلمية في الصومال يبدأ من المتون الصغيرة ثم يتدرج إلى المؤلفات المتوسطة ثم الكبيرة فيبدأ من كتاب سفينة الصلاة، ومتن أبي شجاع لأحمد القاضي حسين ، وشرح ابن القاسم، والتوشيح الذي هو أحد شروح أبي شجاع.يليه منهاج الطالبين للإمام النووي، ثم الإرشاد لابن المقرئ ( وهو ركيك العبارة) ويليه التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي.

ثم يحصل الطالب الإجازة العلمية ،ويسمح له بالتدريس في الحلقات العلمية . وهناك كتب تعتبر مراجع مثل فتاوى ابن حجر الهيثمي، ونهاية المتحاج للرملي(8 مجلدات) ومغني المحتاج للخطيب

[37]- الدكتور عبد الله خضر العروسي، في رسالة ماجستير بعنوان، الثقافة الإسلامية في الحبشة والتحديات الموجهة إليهافي القرن الرابع عشر الهجري، قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية بالرياض عام 1414 هـ. عرضت الرسالة في مجلة قراءات إفريقية العدد الأول - رمضان 1425هـ / اكتوبر2004م
/http://www.alukah.net/world_muslims/0/61091

الشربيني. كنت أسمع من علمائنا يقولون : فلان تعلم الأحكام الاثنى عشر ويعنون بذلك (4 أجزاء للمنهاج ، و4 أجزاء للإرشاد، و4 أجزاء للتنبه )[38].

## ب المتأليف

وفيما يتعلق بالمؤلفات الفقهية على مذهب الشافعي في الصومال على سبيل المثال فأكتفي بما ذكره الدكتور محمد شيخ أحمد مُحمد في بحثه الماتع المعنون (المَذْهَب الشَّافعي في الصّومال مَعالِم وملامِح مِنْ واقع التَّفاعل البيئي ) المنشور عام 2007م. ذكر فيه ما يلي:

1. شرح الإرشاد مع ما في شرحيه جواهر النفائس ونفائس الجواهر، شيخ بروا شيخ عبد اللطيف، وهو كتاب في الفقه الشافعي، يتناول: أحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وينتهي بخاتمة فيها فتوى في تحريم الدخان والتنباكة، وهو مخطوط نسخ في 1246هـ، ويقع في 244 صفحة (الصفحة حوالي ثلاثمائة كلمة)
2. تنبيه مختصر في أحكام النكاح، الشيخ حسن يوسف محمد علي، مخطوط، نسخ بتاريخ 1258هـ بخط نسخ مشكول، عدد الأوراق: 232
3. حاشية الشاشي، للشيخ أحمد بن عثمان محمد الشاشي المقدشي المعروف بـ (أحمد منبر)، وهي حاشية وضعها على كتاب (إعانة الطالب الناوي في شرح إرشاد الغاوي)، لابن عبد الله الحسين بن أبي بكر النزيلي، وما زالت هذه الحاشية مخطوطة لم تر النور حتى الآن، وقد ذكر المؤلف هذه الحاشية في مقدمة تحقيقه لكتاب "إعانة الطالب" المذكور، قائلاً: "لي حاشية سميتها (حاشية الشاشي)"[39].
4. الاعتماد في حل ألفاظ الإرشاد، للشاشي نفسه، وهو شرح لطيف على كتاب (الإرشاد)، الذي هو من أهم الكتب المعتمدة في التدريس والإفتاء في الصومال.
5. فتح الغوامض لمريد علم الفرائض، للشيخ علي مؤمن الشافعي الصومالي، وهو شرح لكتاب الفرائض من كتاب (المنهاج) للإمام النووي، وهو صغير الحجم، يقع في 67 صفحة، وطبع بدار العالم العربي بالقاهرة في عام 1407هـ - 1987م.
6. الغيث الفائض في علم الفرائض، للشيخ بشير محمدعثمان المقدشي الصومالي، وهو كتاب نفيس ومطول جداً، واختصره المؤلف نفسه وأسماه: الإيجاز في علم التوارث،وقد حرص المؤلف فيه على أن يسهل علم الميراث لطلبة العلم، ويقرب مسائله، بسهولة العبارات، ووضوح المعاني، و قد طبع الكتاب بمطبعة المركز الصومالي للطباعة( *Somali printing center*)، مقديشو 1420هـ - 1999م.
7. كشف الغمام عن أحكام مخالفة الإمام، للشيخ حاج على بن عبد الرحمن فقيه، (رسالة).
8. وله رسالة أخرى بعنوان: (القول المقول لتحريم الملاهي والطبول)، وكلاهما مخطوط.

[38]- حوار أجرى معه الكاتب معه، في مايو 2009م. ونشر في موقع الصومال اليوم

[39]. المؤلفات المذكورة في هذه الفقرة ابتداء من هذا المؤلف مأخوذة من: محمد حسين معلم، مرجع سابق، ص: **332 - 336**.

## ثالثاً: المؤلفات الأصولية:

أ. علم أصول الفقه أيضاً كان له حضور في تآليف العلماء في الصومال، وإن لم يضاه الفقه، ومما كتب فيه:

ب. "حجية الإجماع في الشريعة الإسلامية"، للشيخ أحمد حاج محمد شيخ ماح، تناول فيه المؤلف الأدلة الشرعية في الإسلام، ثم حقيقة الإجماع وأركانه، ثم تناول حجية الإجماع بإسهاب، مبيناً آراء الأصوليين فيه. ويقع الكتاب في 241 صفحة.

ج. رسالة بعنوان: "كشف القناع عن أهل التعصب والابتداع"، للشيخ حاج على بن عبد الرحمن فقيه (مخطوطة)[40].

وقد لاحظ الدكتور أن هذه المؤلفات إما شروح وحواش على كتب فقهية من تأليف آخرين، أو تتناول موضوعات فقهية كالصلاة، أو الفرائض، أو الجنائز، ونحوها، كما يلاحظ أن معظمها غير مطبوع، وغير متداول.

## أسباب ضعف التأليف الفقهي بين علماء منطقة القرن الإفريقي

إن التأليف هو ثمرة طبيعية لازدهار العلوم واستقرارها، وهو مؤشر قوي على إظهار المستوى العلمي لمن يزاوله، وإننا بلا شك لا نصادف إسهاما علميا يضع علما ء القرن الإفريقي في مصاف علماء العالم الإسلامي ذوي الإسهامات المتميزة القوية في الفقه الشافعي رغم وجود علماء في قرننا الإفريقي تركوا مؤلفات قوية تترشح لتتبوأ مكانة رفيعة بين المؤلفات العلمية، ومرجعا على مستوى العالم الإسلامي ، ولكن الغالب في المنطقة هو قلة المساهمات العلمية ومنها الفقهية.

وللبحث عن العوامل المؤدية إلى قلة الإنتاج الثقافي لدى علماء شعوب القرن الإفريقي يقول الدكتور رجب محمد عبد الحليم معلّلا حسب نظره الأسباب التي أدت إلى الضعف الثقافي بالممالك الإسلامية التي قامت في المناطق الشمالية الشرقية من الصومال والتي أصبحت فيمابعد إمارة هرر وريثة لها قال في كتابه : العلاقات السياسية بين مسلمي ممالك الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى : "والنتيجة الأخيرة التي ترتبت على جهاد الزيالعة الطويل ضد صليبيّة الأحباش وعلى هزيمتهم في نهاية المطاف ، هي قلة المحصول الثقافي لممالك الزيلع الإسلامية ولمسلمي منطقة القرن الإفريقي بصفة عامّة . فلم تزدهر في تلك المناطق علوم اللغة أو الفقه أو الأدب أو غيرها من أنواع العلوم والمعارف الأخرى ، ولم تظهر هناك حركات صوفية قويّة كتلك التي ظهرت – فيما – في أنحاء قارة أفريقيا الأخرى ، وأدت في هذه الأنحاء دور بارزا في نشر الإسلام ومدافعة الهجوم الأوربي الإستعماري منذ مطلع العصر الحديث بقدر ما وسعها الجهد ، وما قدرت عليه من إمكانيات المدافعة ، وهو دور فقدناه في منطقة القرن الإفريقي في العصور الوسطى .

[40] المرجع السابق، ص **336**.

ولم تشهد تلك البلاد أيضا بناء المدارس والمساجد الجامعة والتي كان يزخر بها العالم الإسلامي والتي تتمثل في الجامع الأزهر في مصر والمدرسة النظامية في بغداد ، والزيتونة في تونس ، والقرويين في فاس بالمغرب الأقصى ، والمسجد الكبير في قرطبة بالأندلس ، وسنكرى في تنبكت ببلاد مالي في غرب أفريقيا . ولذلك قلّ في بلاد الزيلع عدد المتعلمين والفقهاء بالقياس إلى بلاد الإسلام الأخرى ، ومن كان لديها من هذه الفئات ، لم يبرع في علمه ولم يتفوّق في دراسته ؛ لذلك لم يترك لنا الزيالعة كتبا أو دراسات عميقة ومتنوّعة وغزيرة كتلك التي نجدها في مصر والعراق والشام وفارس والأندلس وبلاد المغرب وغيرها من بلاد الإسلام. ونحن الآن نقارن التراث الثقافي الزيلعي بما تركه المسلمون في بلاد العالم الإسلامي الأخرى من تراث وليس بما تركه الأحباش . ذلك أنه رغم قلة تراث الزيالعة الثقافي إلا أنه متفوّف في نوعه وكمه على تراث الأحباش . وقلة التراث الثقافي والعلمي لبلاد الزيلع الإسلامية إنما يعود في المحل الأول إلى ظروف ذلك الصراع الطويل المرير الذي فرضه الأحباش على الزيالعة منذ أن تولت الأسرة السليمانية حكم الحبشة عام 669هجرية / 1270م والذي استمرّ حتى قضى أحد ملوك هذه الأسرة على حركة الإمام أحمد جران عام 950 للهجرة / 1543م بالتعاون مع البرتغاليين . وطبيعي أن هذا الصراع شغل ممالك الزيلع الإسلامية عن المساهمة العميقة والواسعة في النشاط الثقافي الإسلامي في العصور الوسطى ، وجعلها تركز كلّ جهودها في الدفاع عن دينها وعن استقلالها وعن كيانها ضد صليبيّة الأحباش وعدوانهم المستمر الذي لم يهدأ لحظة واحدة منذ ظهور الإسلام وحتى الآن "[41]

وتقييم الدكتور رجب عبد الحليم صحيح إلى حد ما من حيث قلة المساهمات العلمية مقارنة بمراكز العلم الأخرى بشهادة الواقع، ولا يعني ذلك غياب المساهمات بشكل عام. وقد لخص باحث آخر عوامل تأخر الزيالعة الثقافي إلى :

1 - عوامل مادية كإغارة أحزاب المسيحيين على الممالك الإسلامية الصومالية كما ورد في صبح الأعشى .. " وقد اتى الحطي ملك الحبشة على الممالك الإسلامية الصومالية وغيرها كمقدشو وزيلع وعوسة بعد الثمانمائة من الهجرة وخربها وقتل أهلها حرق ما فيها من المصاحف والمساجد والمتاحف والكتب والتاريخ والتراث وأكره الكثير منهم على الدخول في دين النصرانية"[42] . وصف أحد الرحالة الأوربيين فقال: " ذهل البرتغاليون حين رأوا مدنا ساحلية عامرة بالناس، وآهلة بالسكان لا تقل عن مدنهم في البرتغال وسائر أقطار القارة الأوربية. ورأوا تجارة بحرية نافقة في الذهب والحديد العاج والخرز والنحاس وجلود السلحفاة، والأقمشة القطنية والرقيق وفخار الصين، ورأوا هذه الممالك أكثر ثراء من بلادهم الأوربية.

ووصف الرحالة البرتغالي باربوسا كيف خرَّب البرتغاليون مدينة براوة :" خربها البرتغاليون تخريبا، ذبحوا كثيرا من رجالها، وحملوا لسفنهم ما عن لهم أن يحملوه من أسرى، واستحيوا النساء، وسلبوا ذهب المدينة، وكان كثيرا، ونهبوا الفضة والنحاس وما جاء في طريقهم من سلع." وهذا سنة

*41- العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى تأليف : رجب محمد عبد الحليم ص252-253*

[42] القلقشندي، صبح الأعشى ص 336

1498 تقريبا،وقبل براوة خرَّبوا ممباسا وجعلها خرابا يبابا حسب هذا المؤرخ. وفي سنة 943 (1537م) كان قائد القوات البرتغالية لوب سواريرا يهاجم ميناء زيلع ويأمر قواته بحرق مدنية عدل وأهلها، والتي كانت عاصمة مملكة عدل، وما أن تولى بعده قائد آخر حتى واصل سياسته في حرب الإبادة الجماعية للمسلمين ، وسبي النساء المسلمات في ميناء بربرة ص:40

وما لنا نذهب بعيدا فأثناء احتلال إثيوبيا لمقديشو عام2006م،في حكومة الرئيس عبد الله يوسف ورئيس الوزراء علي محمد جيدي، قد جعل الحلقات العلمية في مقديشو خرابا يبابا بعد أن كانت مكتظة بالطلاب، أخبر بذلك الفقيه صاحب الحلقات العامرة في الفقه الشافعي في مقديشو، الذي حضر الملتقى الأول من علماء شرق إفريقيا، وهو الشيخ محمد عبد السلام بن الشيخ عبد الله المشهور بالشيخ محمد "غود" وأفاد في حوار معه نشر بموقع الصومال اليوم، أن العاصمة مقديشو خلت المساجد من الحلقات العلمية، وساد الخوف والذعر ، وقال:" كان يحضر الحلقة الواحدة بضع مئات ، وكان أقل الحلقات حضورا يبلغ طلبتها 240 مستفيدا، أما الآن فلا يوجد في مقديشو حلقات عامرة ،قد تجد من يطلب منك قراءة كتاب معين على سبيل الانفراد ، أما شرف الحلق العلمية فقد ولي عهدها "[43].

2 - عامل طبيعي كقحط شديد عمم تتعرض أجزاء واسعة من منطقة القرن الإفريقي في أزمان طويلة يلجئهم إلى الهجرة من بلادهم وعواصمهم : كبلاد : دكر –وسيم –ونجب – وجرجر – وشوا وغيرها من العواصم ... وتوغلوا في الهجران إلى أفريقيا[44]

## نماذج من فقهاء قدموا إسهامات جليلة للفقه الشافعي

1. مفتي داوود، واسمه داوود بن أبو بكربن حسين بن أبو بكر بن أدهم الهاشيمي ، غلب عليه اللقب بـ / مفتي داوود - ولد مفتي داوود في قرية "سبقل" في رجب 1156/27 هـ الموافق سبتمبر 16/ 1734 مـ وقد نشأ في " سبقل " إحدى القلاع العلمية الإسلامية المشهورة في " دوي " وهي إحدى كبرى المراكز العلمية في وللو آنذاك. يعتبر العلامة مفتي داوود بن أبو بكر من علماء القرن الثامن عشر - من وسط إثيوبيا- هو أحد الأمثلة النموذجية لخدمة المذهب الشافعي في منطقة القرن ، ويعد المفتي داوود رائدًا للحركة العلمية الإسلامية في إثيوبيا بشكل أخص ويقول الشيخ محمد تاج الدين في ترجمة مفتي داوود...: وأحيا العلم الديني في الحبشة بعدما خبت أنواره ودرست آثاره وأفتى وأفاد وكان مجددا للدين وأقبل إليه العلماء الكبار وتلمّذوا له واشتهر عند الخواص والعوام ولقبوه بمفتي الأنام ،ولعمري إنه هو الشافعي الثاني للعلماء الشافعية الحبشيين.
خلف مفتي داوود إنتاجا علميا غزيرا تمثل فيما نسخه من الكتب في المجالات المختلفة ، بعضها ضخم متعدد الأجزاء ( مثل كتاب فتح الباري ، وتفسير البغوي وغيرها من المجلدات)

[43] - حوار أجرى معه الكاتب معه، في مايو 2009م. ونشر في موقع الصومال اليوم
[44] - محمد عبد الله ريراش، كشف السدول ص: 173

كما كانت له أعمال خاصة به مثل كتاب مختصر الترغيب والترهيب ، كتاب الفتاوي الكبير والصغير ، كتاب في التاريخ ، كتاب في العقيدة وغيرها من الكتب التي كانت جميعها ثمرة انقطاع للتدريس والتفاني في نشر العلم ، وإكباب على النسخ والتصنيف سنين عديدة ، وقد نسخ مفتي داوود وهو في مدينة الزبيد ما يزيد على ثلاثة مائة كتاب حسبما يرويه أهل البلاد بشكل تواتري وقال كاتب ترجمته: وأنا لدى زيارتي لقرية غدّو- مركزه العلمي - على ما يقرب ثلاثين مخطوطة كتبت بيده[45].

2. شيخ محمود( السبقلي) قاضي المسلمين كان عالما علامة فقيها في المذهب الشافعي نحويا مفسرا عارفا بعلم أصول الدين ، وكان قاضيا للمسلمين في بلاد دوّي وما دناها فحكم مدة طويلة ، وكان مع كونه مشغولا بأمر القضاء مدرسا في الفقه والنحو والتفسير وأصول الدين ، وأخذ عنه مفتي داوود قبل رحيله إلى الجزيرة العربية العلوم المذكورة ، توفى رحمه الله في آخر رمضان سنة 1215هـ46
3. الشيخ على عبد الرحمن فقي خيرى ( علي المجيرتيني) -عاش في منطقة شرق الصومال، في بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كانت له رحلات إلى الحجاز ثم الشام ثم اليمن ثم الهند وكذلك زنجبار وغيرها من البلدان .وقد أسس عدة مراكز لنشر العلم، وكان يتجول في القبائل الصومالية في مناطق الشرق يدرس أحوالها ، ويصلح ما يجري فيها من الخلافات والتعصب القبلي .وقد ترك مساهمات كثيرة بعضها في الفقه وأكثرها في العلوم الشرعية الأخرى، وأغلب تلك المصنفات مفقود، ومن أشهرها ،كشف الغمام عن أحكام مخالفي الإمام ، وكشف القناع عند أولى التعصب والابتداء ( كذا )، ولقول المقبول بتحريم الملاهي والطبول ، وفتاوي بعنوان( فتح المولى في أجوبة الشيخ علي)، والأجوبة الغيبية للسؤلات الغربية.
4. الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بالشيخ صوفي:هو العالم الكبير والأستاذ الشهير شيخ علماء الصومال في عهده ، ينتمي في نسبه إلى الإمام أبي بكر القفال الشاشي الزهري أحد أركان المذهب الشافعي ومن سلالة عبد الرحمن ابن عوف الصحابي رضي الله عنه . ولد بمقديشو 1245 هجرية ونشأ بها ، وكان للشيخ عبد الرحمن الصوفي دور ملموس في إنهاض الثقافة الإسلامية في بلاده ، فجلس للتدريس والدعوة والإرشاد ومحاربة المنكرات وله ديوان

---

[45]- محمد سعيد عبد الله ،مساهمات مفتي داوود (1743-1819مـ ) في نشر العلم والثقافة الإسلامية في الحبش، وأصلها ورقة قدمت بمؤتمر الشباب الافريقي بالخرطوم 2008م ، جامعة امدرمان الاسلامية
24http://www.islam4africa.net/ar1/more.php?cat_id=18&art_id=52 ،

[46]- انظر الشيخ محمد تاج الدين ، إعلام الأغبياء بحياة عظماء إثيوبيا من العلماء والأولياء وسلاطين الإسلام وأساطين الأصفياء ( مخطوط ) يوجد في مكتبتي الخاصة ، ق.، *377* ،*195*

شعري متميز يتضمن أكثر من الستين قصيدة .توفي الشيخ صوفي في 29 من شهر صفر عام 1322 هجرية ،للاستزادة من أخبار الشيخ الصوفي47

5. الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الزيلعي، فقيه شافعي شهير ، وصوفيّ قادريّ ،وأديب شاعر ، ومؤلف متعدد الثقافة.، ولا يعرف سنة ميلاده بالتحديد ولكنّ المشهور أنه ولد بقرية جدلى بمنطقة باي بكول في جنوب الصومال، ونشأ في منطقته نشأة صالحة ، وله مؤلفات في معظم الفنون الإسلامية في النحو والصرف وعلم القراءات وله شعر في المدائح النبوية مشهور لدى المناطق الصومالية وتوفي في قرية قلنقول فى الخامس من شهر ربيع الأول عام 1299 الموافق 24 يوليو 1882 ميلادية .
6. الشيخ على جوهر بقرى، والد الشيخ عبد الله بن علي جوهر من علماء بورما، ولد رحمه الله تعالى في نواحي بورما 1892 م تعلم في هرر المعمورة والمشهورة بالعلم ،وتجول في المناطق الغربية الصومالية ثم سافر للحجاز من طريق زيلع ، وسكن الحرمين الشريفين واستفاد من علماء الحجاز كثيرا من العلوم، له تلاميذ كثيرون،توفي بجيبوتي 1972م (1391/12/19هجرية ) وصلى عليه رفيقه السيد على السقاف قاضي جيبوتي ، ونقل جثمانه إلى بورما ودفن بها.
7. وفي أريتريا وإقليم أوسا العفري نجد مثلا الشيخ محمد عمر الشهير بالحاج سيد المفتي العام لأوسا، وهو والد الأمين العام للمجلس الإسلامي بجيبوتي حاليا الشيخ أمين محمد عمر، ومشارك في هذا الملتقى، وكان الحاج سيد صاحب مساهمات قوية في نشر المذهبين الحنفي والشافعي، ومبرزا في الفقه المقارن، توفي رحمه الله عام 1408هـ 1988م.
8. والشيخ حبيب محمد شريف من أوسا أيضا، واشتهر بتدريس الفقه الشافعي توفي رحمه الله 1409م.
9. وفي منطقة توجورا نجد الشيخ عبد القادر حُمُد جبا من كبار علماء جيبوتي في عصره، وكان قاضيا توفي أيضا عام 1407هـ.

وغيرهم من العلماء المبرزين أصحاب المساهمات القوية سواء في التأليف او في التدريس في الحلقات العلمية العامرة التي ينهل منها طلبة العلم الشرعي، وبوجودهم يحيى الإسلام في منطقة القرن الإفريقي.

## اليقظة الإسلامية والمذهب الشافعي في بلاد القرن الإفريقي

لقد اتسمت الحركة الفقهيّة في الصومال في القرون الأخيرة بطابع الجمود والتقليد متأثرة بما آلت إليه الحياة العلميّة في العالم الإسلامي قبيل بزوغ فجر الصحوة الإسلامية المعاصرة . وصف الشيخ محمود شلتوت مظاهر الجمود – عند ذكره الأمراض التي لحقت بالجامع الأزهر في عهوده

[47]- راجع :تقديم محمد عثمان الشاشي لكتاب التمشية شرح الإرشاد ومقدمة كتاب جواهر البحر المعين شرح قصيدة شجرة اليقين الشارح هو الشيخ أبا الشاشي حفيد الشيخ صوفي صاحب القصيدة . والشيخ صوفي عالم الدين الصومالي . المجموعةالقلنقولية للشيخ عبد الله القطبي . نقلت أكثر المادة المتعلقة بالشيخ صوفي من : ذخائر النخبة من تراجم علماء شرق إفريقية رسالة أعدَّها الأخ ياسين عبده سعيد

المتأخرة – بقوله : ( تغلبت العناية بالمناقشات اللفظية ، وتتبع كلمات المؤلفين في المصنفات والشروح والحواشي والتقارير على الروح العلمية الموضوعية . تغلبت روح التقديس للآراء والأفهام التي دونها السابقون ، والسمو بها عن مستوى النقد وعدم الاكتراث بما قد يظهر من آراء جديدة . تغلبت نزعة الاشتغال بالفروض والاحتمالات العقلية التي لا تقع ، وما يتصل بها من أحكام ، وأعرضوا عن تنمية الفقه العملي الذي الذي يحتاج إليه الناس في معاملاتهم وأقضيتهم . تغلبت نزعة الاشتغال باختراع الحيل التي يتخلص بها من الحكم الشرعي . لقد تناولت هذه الحيل كثيرا من أبواب الفقه ، ولم تقف عند الحد الذي أثر عن الأئمة من جعلها وسيلة للتخلص من ضرر أو مكروه ، بل افترضوا حيلا يسقطون بها الواجبات . تغلبت روح التعصب المذهبي الشديد ، وحتى وصل الأمر بين أتباع الأئمة إلى المناقشة في صحة الاقتداء بالمخالف في المذهب . تغلبت الفكرة القائلة بتحريم غير المذاهب الأربعة ، فحجروا واسعا , ومنعوا رحمة اختص الله بها هذه الأمة ... ))48

وعلى سبيل المثال أنقل لك ما ورد في بعض الكتب الفقهية المتداولة مما يدل على ضمور حس الدليل بين العلماء ، ويدلّك ما وصل إليه العالم الإسلامي من درسة منحطة في التعامل مع النصوص الشرعية وهذا ما ورد في كتاب إعانة الطالبين حيث قال مؤلفه : ( تنبيه ): كلّ الأئمة الأربعة على الصواب ، ويجب تقليد واحد منهم ، ومن قلّد واحدا منهم فقد خرج عن عهدة التكليف !! ، وعلى المقلد اعتقاد أرجحية مذهبه ، أو مساواته ، ولا يجوز تقليد غيرهم ، في إفتاء أو قضاء ( قال ابن حجر ) ولا يجوز العمل بالضعيف بالمذهب ويمتنع التلفيق في مسألة كأن قلّد مالكا في طهارة الكلب ، والشافعي في مسح بعض الرأس في صلاة واحدة أما في مسألة بتمامها بجميع معتبراتها فيجوز ولو بعد العمل ، كأن أدى عبادته صحيحة عند بعض الأئمة دون غيره ، فله تقليده فيها حتى لا يلزمه قضاؤها ... )) 49 وقد ورد في إحدى المخطوطات الصومالية ما يشبه النقل السابق حيث قال جامعه : فصل : المذاهب الأربعة كلها على الحق وكل مجتهد مصيب ومن قلد منهم إماما فله أن يقلد الآخرعند الضرورات هذا هو الصحيح ومن العلماء من منع ذلك فقال : لا يقلِّد غير إمام واحد ... " نقلا عن مخطوطة كتبها الفقيه راجى ليبان عاش صاحبها في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي . كما كشفت مخطوطة أخرى لتفسير الجلالين عن مدى التعصب للمذاهب الأربعة حيث يقول الناسخ في المقدمة : " ولا يجوز تعليل المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة ، والحديث الصحيح والآية ، والخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضلّ ،وربما أداه ذلك إلى كفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر"50

---

*48*- محمد عبد الرحمن خفاجي : الأزهر ألف عام ج3 ص 9-12 بواسطة المستشار طارق البشري في رسالته : الوضع القانوني المعاصر بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي ص :6-7.

*49* - نقلا عن : إعانة الطالبين شرح قرّة العين بمهمات الدين للسيد البكري الدمياطي ج1.

*50*- السياسات الثقافية في الصومال ص :70). قلت : لعله نقلها من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين فقد ورد فيها عن تفسير قوله تعالى ( ولا تقولنَّ لشئ إني فاعل ذلك غدا ) (آية23 من سورة الكهف ) بعد أن أورد الخلاف في مسألة استثناء اليمين ثم قال : ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعةولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل ، وربما أداه ذلك للكفرلأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنَّة من أصول الكفر !!!!! "

وعندما قامت حركة التجديد الديني في القرن الإفريقي فقد ثارت على هذا الوضع الفقهي الذي تميز بالجمود والبعد عن الدليل ، ولذلك كانت الاستجابة رد فعل عكسية اتجهت إلى ما يشبه القطيعة والجفاء مع كتب الفقه المذهبي وخصوصا الشافعي نفورا من التقليد الذي اعتبرته تلك المدرسة من باب تعظيم غير الله ،وعلى حساب اتباع الدليل ، وتاثرا بمسلك طائفة من العلماء المحققين كالشوكاني والصنعاني والألباني ممن اطرحوا ثوب التقليد ونادوا على ضرورة التحرر من سلطة المذاهب الفقهية . وكان يحدث أحيانا أن طالب العلم الناشيء يظن أن أقوال المذاهب المخالفة لمألوفه هي من البدع فيهجرها ويقاطعها، يقول الدكتور أحمد الحاج رحمه الله ت: 1432هـ بعد حكايته للخلاف في نقض المرأة للوضوء يقول: من الخطأ الفاحش اعتبار بعض طلبة العلم الصغار أن القول بنقض لمس المرأة للوضوء من أقوال المبتدعة ؛ فقد ذهب إليه ابن عمر الصحابي وهو معروف بتشدده في التزام السنة، ثم قال: و هذه مسألة فقهية، ويسوغ فيها ترجيح قول على قول مكتفيا بقولك : ه ذا القول أرجح دليلا كما هو دأب العلماء ثم قال رحمه الله : "وبعضهم ربما ظن أن الشافعي ليس من السلف، ..وربما ذهب ظنه إلى أن بعض المعاصرين مثل الألباني –رحمه الله -من السلف والشافعي ليس كذلك بل إن الشافعي هو ناصر السنة ، وليس في مسائل الفقه عالم يقبل كلامه مطلقا ويعلو على الخطأ والتناقض بل يعرض قول كل عالم على الأدلة[51]

ولكن ولحسن الحظ فإن ذلك لم يكن هناك تأصيلا أو قاعدة مكتوبة لإنكار كتب المذاهب أو الشافعية على وجه الخصوص؛ وسرعان ما اكتشف العلماء على الأضرار التي تتولد من المناهج التي تنفر من الفقه المذهبي ،حيث نشأ من الاضطراب والضحالة العلمية، والغلو تمثل بعدم الاعتداد بأقوال المخالفين في المسائل الاجتهادية، خلافا معتدا به، وبالتحدث عنهم حديث المستحف، الذي لا يرى صوابا إلا للقول الذي اختاره، أو للمدرسة التي أخذ عنها، وجميع من خالفهم مبتدعة عصاة، ليسوا من أهل الحق مهما كان قدمهم راسخا في الدين، بحجة أن الرجال يُعرفون بالحق، والحق في رأيه لا يكون إلا للقول الذي اختاره. فقد كثر في الناس من يتجرأ على الفتوى بالحديث دون فقه، فيتصدر المجالس.

قلت: في الآونة الأخيرة نتيجة لمراجعات فإن منهج رابطة المعاهد الشرعية في الصومال يتقيد بالمذهب الشافعي ، وكذلك الحلقات العلمية في جميع أنحاء الصومال وكذلك بقية مناطق شرق إفريقيا فقد جاء في (الملتقى الأول لتطوير الحلقات العلمية) الذي انعقد بمدينة لاسعانود بتاريخ 15 ربيع الآخر 1435هـ الموافق 15 فبراير2014م بحضور رئيس هيئة علماء الصومال بشير أحمد صلاد " يتقيد المنهج بمراعاة المذهب الفقهي للبلد" واعتمد تدريس كتب المذهب بدءا من سفينة النجاة وسفينة الصلاة ، ومتن الغاية والتقريب( أبي شجاع) وشروحه والياقوت النفيس والزبد وعمدة السالك وانتهاء بمنهاج الطالبين والمهذب للشيرازي، وأصبح تطبيق المنهج الجديد ملزما في حلقات العلم التي اقامتها الجماعة في كل المساجد التابعة في أنحاء الصومال.

## خلاصة الورقة :

[51]- أشرطة مسجلة، شرح الترمذي عند شرح أحاديث نقض الوضوء.

- أن خدمة علماء القرن الإفريقي للمذهب الشافعي هي خدمة جليلة وجبارة، ولكنها اقتصرت على جوانب التدريس، والنشر كتب المذهب المشهورة من المختصرات إلى المتوسطات إلى المطولات والشروح الكبيرة.
- أن ثمة عوامل عديدة ساهمت في إضعاف حركة التأليف والنشر في القرن الإفريقي يمكن إرجاعها إلى عوامل القحط وكثرة التنقلات في حياة الترحال في البادية، وضعف التمدن والحروب المستمرة مع الإمبراطورية الحبشية النصرانية والغارات الاستعمارية وغير ذلك من الأسباب.
- إن ارتباط تطور الفقه الإسلامي بتطبيق الشريعة الإسلامية ارتباط وثيق ، لأن تطبيق الفقه في مختلف الجوانب من الحياة الاقتصادية والإدارية والسياسية سيؤدي حتما إلى قلة اشتغال العلماء في تجديد الفقه والتنقيب عن الأحكام، وأعتقد ان اليقظة الإسلامية الراهنة التي أسميها التجديد الإسلامي في منطقة القرن الإفريقي أدت إلى إنشاء فروع الشريعة الإسلامية في العديد من الجامعات في بلدان القرن الإفريقي وخصوصا الصومال.

توصيات الورقة:

توصي الورقة بإجراء بحوث ودراسات وافية لتسجيل جهود علماء منطقة شرق إفريقيا لخدمة الفقه الإسلامي وخصوصا المذهب الشافعي، وإنه لعمل جبار لا يضطلع به إلا مؤسسة ذات امكانيات.

توصي الدراسة بتشجيع المسئولين على تطبيق الشريعة الإسلامية، لأن القانون الإسلامي لا يزدهر إلا في البلدان وفي الأزمان التي يكون فيها مطبقا في المحاكم وفي الأسرة وفي مكاتب الدولة، وهنا تتبارى العقول النيرة لتسخير كل ما لديها من إمكانات من قوى الفكر والإبداع لخدمته بحثا وتأليفا وتفسيرا وشرحا، وهكذا. وهذا يعني أن الفقه الإسلامي بكل مذاهبه بمثابة كائن حي يترعرع إن وفرنا له أسباب الحياة ويذبل وينكمش إن حرمناه من أسباب الامتداد والبقاء، ووجود مشكلات جديدة في مضمار الحياة تتطلب حلا من الشريعة الإسلامية فهذا كاف لدفع العلماء إلى التفكير طلبا لحل هذه المشكلات من الفقه الإسلامي.

نشر اللغة العربية بأوسع نطاق لأنها لغة الفقه الإسلامي ومصادره عبر التاريخ.

جمع ما يمكن من تاريخ الحركة العلمية في منطقة القرن الإفريقي، لأن هناك حقبا كثيرا لم تنل حظها من الرصد والتوثيق ، ويمكن عمل شيء إذا تتبعنا الخيوط ، فما لا يدرك كله لا يترك جله.

فهرس المراجع


1. محمد عمر الكاف، خزانة الفقيه، انتشار المذهب الشافعي في العالم الإسلامي مع خريطة توضيحية
   الموضوع الأصلي :
   http://www.feqhweb.com/vb/showthread.php?t=3368&s=8a17
2. الإسلام في إثيوبيا للدكتور الكرباسي، إعداد محمد سعيد آل أبي إمام، نسخة إلكترونية، ط1430هـ 2009، بيت العلم للنابهين بيروت ، لبنان
3. https://books.google.dj/books?id=HtvXLOKTCZkC&p
4. حوار المفتي العام لأرتيريا الشيخ عثمان الأمين ، تحت هذا الرابط
5. http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Wasat%20magazine/1995/6/
6. حسن مكي ،السياسات الثقافية في الصومال الكبير ،ط1409.
7. الإسلام في الحبشة، وثائق صحيحة وقيمة، عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الإسلام إلى هذه الأيام . تأليف يوسف أحمد،ط1 القاهرة شعبان سنة1354هـ.
8. محمد شيخ أحمد محمد ، مقال بعنوان )المذهب الشافعي في الصومال .. معالم وملامح من وحي التفاعل البيئي ) ، نشر موقع معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب www.mubarak-inst.org
9. ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
10. محمد الطيب اليوسف ، أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ (المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1416هـ
11. د.غيثان جريس ود. السرسيد العراقي ، تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم – (نادي أبها الأدبي ، أبها ، ط1 ، . (1/30) (1417
12. ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (120/2).
13. محمد علي الشوكاني ، البدر الطالع طبعة بيروت
14. بغية الآمال في تاريخ الصومال للشريف العيدروس العلوي النضيرى ألفة سنة1957 م
15. السياسات الثقافية في الصومال الكبير تأليف د . حسن مكي الطبعة الأولى 1990م دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة – الخرطوم
16. الصحوة الإسلامية في إفريقيا مهددة بالانهيار تأليف : سيد أحمد يحيى ط2 1996م

17. الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا : راجية محمد عفت رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1980 .
18. كشف السدول عن تاريخ الصومال وممالكهم السبعة تأليف :الشيخ أحمد عبد الله ريراش ط 1391هجرية .
19. انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية تأليف : د. حسن إبراهيم حسن ط الثالثة مكتبة النهضة المصرية 1984م
20. رجب محمد عبد الحليم ،العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى
21. أحمد السيد سالم ،الصومال قديما وحديثا، وزارة الاستعلامات الصومالية، ط1965م
22. المقريزي الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام القاهرة1895م
23. علي الشيخ أحمد، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي، ط1987م.
24. الدكتور عبد الله خضر العروسي، في رسالة ماجستير بعنوان، الثقافة الإسلامية في الحبشة والتحديات الموجهة إليها في القرن الرابع عشر الهجري، قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية بالرياض عام 1414 هـ. عرضت الرسالة في مجلة قراءات إفريقية العدد الأول - رمضان 1425هـ / اكتوبر 2004م /http://www.alukah.net/world_muslims/0/61091
25. محمد عبد الرحمن خفاجي : الأزهر ألف عام.
26. المستشار طارق البشري في رسالته : الوضع القانوني المعاصر بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.
27. السيد البكري الدمياطي ، إعانة الطالبين شرح قرّة العين بمهمات الدين ج1.
28. حوار مع الشيخ عبد الله علي جيله، بعنوان (الشيخ عبد الله علي جيله..والتجديد في أساليب تدريس العلوم الدينية )هرجيسا 24 سبتمبر http://www.somaliatodaynews.com/port/2010-01-04-21-22-23/360-2009-12-10-23-19-21.html 2009 نشر بموقع الصومال اليوم.